مضامين العلاقة التربوية في السنة النبوية بين الإمام والمأموم

الدكتور: عبد السلام درداح فالح عودات
الأستاذ المساعد في قسم الدراسات الإسلامية
المملكة العربية السعودية ـــ جامعة الجوف
كلية العلوم والآداب طبرجل

ملخص الدراسة

الملخص

هدفت هذه الدراسة لبيان المضامين التربوية للعلاقة الايجابية المتفاعلة بين الإمام والمأموم، لإحياء دور المسجد ورسالته في صياغة الشخصية المسلمة، وبناء الإنسان المسلم المتميز بتدينه، ووسطيته،واعتداله، تلك الشخصية المؤمنة المنطلقة بأنوار العلم المهتدي لتحقيق النهوض الحضاري المنوط بالأمة أفراداً ومجتمعات. فثمة علاقة كبيرة بين الإمام والمأموم،وضحت السنة جوانبها، في أبواب متفرقة من كتب السنة، أبواب الإمامة والصلاة، وصلاة الجمعة والجماعة.

فالمسجد مؤسسة تربوية إسلامية، لا تتحقق رسالته التربوية الفاعلة الإ بوجود الإمام المؤهل، الذي يَحمل رسالةً وهدفاً وغاية. ينطلق من أهداف وغايات دعوية تربوية واجتماعية، بعملية تفاعلية مؤثرة منطلقة من سلامة منهجه المعتمد على الوحي المعصوم قرآناً وسنة، يؤثر في أتباعه من المصلين في مختلف النواحي والمجالات التربوية والعلمية والسلوكية والاجتماعية.

وهذه البحث يؤصل للعلاقة من جانبها الشرعي والتربوي؛ لان هذه العلاقة غير قائمة على المصالح المادية الدنيوية ؛ إنما هي علاقة التلمذة والتلقي، والبناء والتربية والإتباع ، بحيث يكون المأموم مقتدياً وتابعاً في الحق لإمام مسجده وتلميذاً له . وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

١ ـ حددت السنة النبوية الإطار العام للعلاقة بين الإمام والمأموم.
٢ ـ الكشف عن جوانب العلاقة التربوية ومناحيها المتعددة العلمية والعقدية والسلوكية.
٣ ـ تحديد إطار معرفي شرعي تربوي للإمام يتعامل به مع لمأموم.

وتوصلت الدراسة إلى التوصيات التالية :ضرورة اهتمام المؤسسات الرسمية المسؤولة عن الدعوة التعريف بهذه العلاقة، ومضمونها التربوي التعليمي المناط بإمام المسجد . وإيلاء المساجد العناية من المؤسسات الرسمية المسؤولة عن الدعوة بإعداد الأئمة الاكفاء المؤهلين للقيام بتحقيق هذه المضامين التربوية التعليمية.

الكلمات المفتاحية : المضامين التربوية لعلاقة الإمام بالمأموم ، إحياء وتفعيل رسالة المسجد، إعداد الأئمة الاكفاء .

المقدمة:

المسجد مؤسسة تربوية من مؤسسات التربية في الإسلام، ويقوم بدوره الفاعل بوجود الإمام المتفاعل، الذي يُحقق الرسالة التربوية في تفعيل دور المسجد كما أُريد منه في التشريع الإسلامي في منحاه التربوي والاجتماعي. إذ يتم به بناء الفرد وصياغة الأمة، وصناعة مجدها حاضراً ومستقبلاً ، وصياغة شخصيتها الإسلامية القائمة على التوحيد والعلم المنضبطة بالقيم الخُلقية.

وتعظم أهمية المسجد بوجود الإمام الكفء المتحلي برسالية عمله وحمله للدعوة والإصلاح والتجديد؛ لإن المسجد بأمامه وليس ببنائه، مع أهمية البناء، لكن العمارة الحقيقة للمسجد بوجود العلماء الأكفاء الذين يُفعلون رسالة المسجد التربوية، ويوجهون السلوكيات نحو التغير الايجابي في كل مجالات الحياة انطلاقاً من منظور القرآن والسنة.

وإذا كان الأئمة على هذا القدر من المسؤولية فثمة علاقة ارتباطية بينهم وبين المصلين، تقوم على التعليم والدعوة والتربية، والتتلمذ علمياً وسلوكياً على الإمام الشيخ أن يجسد أقواله بأفعاله، وسلوكاته التي تُعتبر مدرسة في التطبيق والقدوة الحسنة للشخصية الإسلامية علماً وعملاً، بهذا يكون الدور الذي يؤديه الإمام لدينه ووطنه وأمته كبيراً، وَيَعْظُم بمقدار مزواجته بين العلم والعلم، قدوة شامخة في مسجده لكل الناس.

وللمسجد خصوصية إيمانية راسخة الجذور في قلب كل عابد وموحد لله تعالى، وهو حلقة مهمة في التربية والبناء، يسهم في صياغة الشخصية المسلمة، الملتزمة بالإسلام عقيدة وشريعة، وأصولا وفروعاً، التزاماً بالإسلام كله، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾(البقرة :٢٠٨). وللمساجد مكانة وأهمية في قلب كل مسلم، فيحرص المسلم على ارتيادها والتعلق بها، وحضور الجمع والجماعات، وسماع الخطب والمواعظ، وحضور حلق العلم.

يجدر بالمأموم طلب العلم والحرص عليه، والاستزادة من العلماء ، لتحصيل النمو المعرفي والتربوي ونضوج شخصيته ؛ ليكون نموذجاً ، يتصف بالالتزام الشامل، المعتدل والمتزن في تدينه والتزامه ، وبما أن الركيزة الأساس التعلم وطلب العلم ، فليحذر من الزهد في تلقي العلم، استخفافًا بالعلم أو المعلم، ولتكن حاله كالإمام عطاء بن أبي رباح إذ قال: "إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه قط، وقد سمعت به من قبل أن يولد"[١]، وهذا من أدبه مع العلم والعلماء.

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،ج٥/ ٨٦ ، في ترجمة عطاء بن أبي رباح .

وثمرة التفاعل التربوي الايجابي بين المأموم والإمام، تبلور وتجلي العلاقة بينه وبين المصلين(المأمومين) ، مما يستوجب من المصلين معرفة هذه العلاقة وحدها وآدابها.

أهداف الدراسة:

١. بيان طبيعة العلاقة بين الإمام والمأموم ، وفق الهدي النبوي الذي يوضح طبيعة هذه العلاقة وجوانبها.

٢. بيان دور الإمام الفاعل في إحياء وتفعيل رسالة المسجد.

٣ ـ الكشف عن جوانب العلاقة في السنة النبوية بين الإمام والمأموم.

٤ ـ بيان مكانة الإمام القدوة وأثره الإيجابي في الدعوة إلى الله تعالى .

٥ ـ توضيح فعالية الإمام المؤهل تأهيلا علمياً شرعياً .

٦ ـ بيان المضامين التربوية للعلاقة بين الإمام والمأموم .

٧ ـ تحديد إطار معرفي شرعي تربوي للإمام يتعامل به مع لمأموم.

٨ ـ وضع أسس وضوابط هذه العلاقة في حدود الشريعة بعيداً عن الغلو أو التقصير بين الإمام والمأموم.

مبررات اختيار الدراسة:

١. ندرة الدراسات التي تناولت الموضوع، لا سيما من المنظور التربوي.

٢. حاجة الناس لمعرفة هذه العلاقة وجوانبها التربوية.

٣. توضيح هذه العلاقة يرسخ هيبة المسجد، ويجنب المسجد التشويش والمهاترات.

٤. حاجة الناس في حياتهم عامة لضبط علاقاتهم ببعض وفق هدي القران والسنة في التعامل مع بعضهم بعضاً، مما يؤثر إيجابا في شيوع المحبة والألفة بينهم.

مشكلة البحث:

الإمامة مهمة الأنبياء والعلماء والخلفاء والولاة يقومون بها على أساس رسالية المهمة لشرفها وعلو مكانها، وعندما تغيرت الأحوال كما في زماننا، وأصبحت الإمامة وظيفة من الوظائف العامة في أغلب الدول الإسلامية، ظهر من الأئمة صنفان، صنف قائم على حقوقها حق القيام، ويؤديها بحقها رسالة ذات أبعاد تربوية وعلمية ودعوية، وصنف اتخذها وسيلة للعيش يقتات بها وليس همه إلا الراتب، قصرت همته ولم تبلغ إلا حدود المادة، وَضَعف ارتباطه التعبدي بالإمامه، فصار عبئاً ثقيلاً على المسجد، لا يؤدي وظيفته على وجهها، ولا يؤديها كرسالة دعوية تربوية، مما أوقع الخلل في الأداء والثمار المرجوة من عمله.

والإمامة فرع عن الإمامة الكبرى وهما فرع عن إمامة النبوة ، فهي مكانة وشرف عال، وتحمل في ثناياها الاتباع والاقتداء والإجلال والتقدير، فالمأموم يُتابع الإمام في الخير والعلم والسمت الحسن ، لكن بعيداً عن التقديس أو توهم عصمة إمام المسجد ، من هنا يتضح خطورة شأنها، وضرورة التنبيه على حدود هذه العلاقة في إطارها الشرعي التربوي، حتى يحذر الأئمة من توهم مكانة غير هذه المكانة من العلم والدعوة والتربية، ومنعاً لظهور حظ النفس من إظهار الولاية والعجب، وتوهم ادعاء العصمة، وفي المقابل من جهة المصلين، يتوجب عليهم معرفة حدود هذه العلاقة ومعرفة طبيعة المتابعة للإمام وضوابطها، وأن الاتباع المطلق لا يكون إلا للنبي القدوة ـ ﷺ ـ .

إذن غياب التصور الصحيح لطبيعة هذه العلاقة العلمية الدعوية التربوية، لا سيما عندما ظهر الصنف الثاني من الأئمة في المساجد، وهم الأئمة الذين يبحثون عن القوت والمعاش، فوقع الانحراف عند بعض الأئمة في فهم دورهم ورسالتهم، وارتباطهم بالمسجد والمصلين. وبناءً على ذلك تكون مشكلة الدراسة بالسؤال الآتي:

ما مضامين العلاقة التربوية في السنة النبوية بين الإمام والمأموم.

الدراسات السابقة:

موضوع الإمامة من الموضوعات التي ذكرت في كتب السنة النبوية وأبوابها، لكونها متعلقة بفريضة الصلاة والصلاة في جماعة، وكذلك كتب الفقه أفردت فصولاً لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بأحكام الامامة والإمام وتفصيلها . ويشكل هدي النبي ـ ﷺ ـ ركيزة أساسية في موضوع هذا البحث، إذ من المسلم به قيام رسول الله ـ ﷺ ـ بأمامة أصحابه في مسجده الشريف منذ بناء المسجد، ويوضح هدي النبي صلى ـ ﷺ ـ حدود هذه العلاقة، ومضامينها التربوي .

ولم يُفرد الموضوع بدراسة مستقلة في حدود اطلاع الباحث ،وإنما ذَكرت كُتب السنة متعلقات هذا الموضوع بصورة عامة كما سلف ، لكن دون بيان العلاقة بين الإمام والمأموم أو ذكر للمضامين التربوية المختلفة لعلاقة الامام بالمأموم، والتي ستبحثها هذه الدراسة .

وهذه الدراسة تستخلص جملة من الآداب التي دلت السنة النبوية عليها؛ لان رسول الله ـ ﷺ ـ باشر الإمامة بنفسه وقام بها، فهو محل القدوة والأسوة أكمل الخلق في كل صفات الخير والبر، أرسله الله هاديًا وقدوة حسنة في أفعاله وأقواله، والإمامة من الأفعال التي قام بها رسول الله ـ ﷺ ـ ، وهو محل إتباع في ذلك، لا سيما أنه القائل: (وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) [1]. وينبغي على الإمام أن يتحرى صلاة رسول الله ـ ﷺ ـ قال ابن تيمية: " وَالْأَفْضَلُ

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، بَاب الْأَذَانِ لِلْمُسَافِرِ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً وَالْإِقَامَةِ ، برقم (٦٣١)، ص ١٣٠ .

لِلْإِمَامِ أَنْ يَتَحَرَّى صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ الَّتِي كَانَ يُصَلِّيهَا بِأَصْحَابِهِ، بَلْ هَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ الْأَئِمَّةُ، كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ (قَالَ لِمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ وَصَاحِبِهِ: إذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَأَذِّنَا وَأَقِيمَا، وَلْيَؤُمَّكُمَا أَحَدُكُمَا، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)"[1].

محددات الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على ما يلي:

١. استنباط الجوانب التربوية من السنة النبوية لعلاقة الإمام والمأموم.

٢. التركيز على الجوانب التربوية،والبعد عن ذكر الخلافات الفقهية.

٣. الاعتماد على الأحاديث الشريفة من الكتب الستة وما صح من غيرها.

منهج البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي، من خلال تناول نصوص السنة النبوية في هذا الباب، ثم استنباط الجوانب التربوية منها.

مخطط البحث ـ جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول: المضامين العقدية لعلاقة الإمام بالمأموم.

المطلب الأول ـ البعد عن التعاظم بالنفس والترفع بها عن الخلق.

المطلب الثاني: تحقيق المحبة الإيمانية ولوازمها.

المطلب الثالث: ترسيخ منزلة العالم الشرعية في نفوس الاتباع ،والتحذير من التعصب له.

المطلب الرابع ـ تنمية المشاعر الدينية .

المبحث الثاني ـ الجانب العلمي لعلاقة الإمام بالمأموم.

المطلب الأول ـ تعليم العلم ونشر الهدى .

المطلب الثاني ـ استثمار الخطب والمواعظ لنشر العلم وآدابه.

المطلب الثالث : المطلب الثالث ـ تعليم أحكام الصلاة ومتابعة الإمام في الصلاة وعدم الاختلاف عليه .

المطلب الرابع ـ تعليمهم أحكام الصلاة ومتابعة الإمام في الصلاة وعدم الاختلاف عليه.

المبحث الثالث: الجانب السلوكي والاجتماعي لعلاقة الإمام بالمأموم.

المطلب الأول ـ الجانب السلوكي لعلاقة الإمام بالمأموم.

المطلب الثاني ـ العلاقات الاجتماعية .

([1]) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ،الفتاوى الكبرى، ج٢٢ / ١٨٩ .

المبحث الأول: المضامين العقدية لعلاقة الإمام بالمأموم:

المطلب الأول ـ البعد عن التعاظم بالنفس والترفع بها عن الخلق :

أولاً ـ ترسيخ مفهوم بشرية الرسل الكرام ومَن دونهم :

لقد رسخ القرآن مفهوم بشرية الأنبياء والمرسلين، فسنة الله المطردة أن جعل رسله وأنبيائه بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وكان هذا محل تعجب من الكفار، الذين رد عليهم القرآن في مواضع كثيرة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٧:الفرقان) وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ (٨ ـ ٩: الانعام:)،وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ (٧ ـ ٨: الأنبياء)، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١٥٣ ـ ١٥٤: الشعراء).

فلم يجعل الله الرسل ملائكة،إذ لو كانوا غير بشر لحصل اللبس، وانتفى الاقتداء بهم؛لإنهم حينها خارجين عن طباع البشر، لكن يقرر القرآن أنهم بشر يأكلون ويشربون ويتزوجون،ويجري عليهم ما يجري على سائر البشر من الألم والمرض والإبتلاء(١).

ولم يجعل الله الرسل والأنبياء خارجين عن الطبائع البشرية من دوافع ورغبات وشهوات، بل هم بشر يمثلون النموذج البشري القائم على تبعات الرسالة وتكاليفها؛ وأعظم ميزاتهم أنهم النموذج العملي لتطبيق الشرائع وأداء الشعائر، محكومين باتباع الشرع وأوامر الله، ينضبطون بالتكاليف ويقومون على تطبيق الدين ولوازمه وتكاليفه حق القيام؛ليكونوا المثال البشري الأعلى في الاقتداء والمتابعة، وإلا لشق على البشرية متابعة مَن هو خارج عن صفات البشر، ولا تَحكمه طباع البشر، بل لكان ذلك عذر لكل من يتفلت عن الشرع وأوامره ، وحجة له في عدم القدرة على القيام على التكاليف، بأنه لا يستطيع فعلها ؛ لأنه ليس ثمة نموذج بشري يُقتدى به قائم على هذه التكاليف.

(١) البغوي، معالم التنزيل، ج٣١١/٥ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج٢٧١/١١، الشوكاني، فتح القدير،ج٤٤/٥، ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج١٥/١٧.

وإذا ثبت بالشرع القطعي بشرية الأنبياء والمرسلين فمن باب الأولى بشرية مَن دونهم، إذ لا يجوز لأحد أن يذهب بنفسه فوق رتبته التي خلقه الله عليها وكلفه بها، فالأنبياء مهمتهم تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله تعالى، يحرصون على هداية البشرية،وأخذها إلى عبودية ربها وخالقها سبحانه وتعالى، وهم في طليعة المتقين في السير إلى الله تعالى، وهم في مقدمة العابدين، ولا يقبلون منزلة غير هذه المنزلة، لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٧٩ ـ ٨٠: آل عمران)؛لأن مقام العبودية اسمى المنازل وأعلى المقامات، وحينما امتدح الله نبيه في معجزة الإسراء وصفه بالعبودية، فلا يحق لأحد من البشر أن يذهب بنفسه عن وصف العبودية ومقامها إلى أوصاف التأليه أو العصمة، ولا تزكية نفسه ، بل يتواضع ويسأل الله الثبات على الهداية.

والإمام وارث منصب النبي ـ ﷺ ـ في العبودية والإمامة والخطابة والدعوة إلى الله تعالى، وحمل أعباء الدين وتكاليفه، يقوم حيث قام رسول الله ـ ﷺ ـ يلزمه تحقيق المتابعة للنبي ـ ﷺ ـ في كل متعلقات الإمامة ومتطلباتها، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يذهب بنفسه فوق البشري، ويحذر من الإطراء والغلو به، قال ابن القيم في بيان سبب منزلة رسول الله ورفعة درجته وجاهه عند ربه وعلو قدره عند الله: " لتكميله مقام العبودية والفقر إلى ربه وكان يقول لهم أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي إنما أنا عبد ، وكان يقول لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله .[١]

والإمام تابع فمن باب أول أن يحقق منهج إمامه المتبوع الرسول القدوة ـ ﷺ ـ في هذا المنحى وغيره، وعليه أن يرسخ عدم قداسته، وكونه طالب عالم وليس هو فوق البشرية من شيء، ولا يذهب بنفسه نحو العظمة والكبرياء، بل يخاف الله على نفسه من العجب والكبر ويسأل الله السلامة من هذه الأمراض القلبية المهلكة.

(١) ابن القيم ، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ج٢٦/١، وقوله (لا تطروني ..) فالحديث رواه البخاري ،كتاب بدء الوحي،ج٢٠٤/٤، برقم (٣٤٤٥).

ثانياً ـ :ترسيخ مفهوم لا عصمة الا للأنبياء :

وكون الإمام في مقام التربية والتعليم، يحرص على تكريس ضعفه بين يدي ربه، ويحذر من الغلو في العلماء والصالحين سواء أحياء أو ميتين، وهذا يرسخ في نفوس المصلين عدم اعتقاد عصمته فهو بشر يجري عليه الخطأ والصواب، والمقرر عند أهل السنة والجماعة في موضوع العصمة أنهم " لا يعتقدون العصمةَ لأَحد غير رسول الله ـ ﷺ ـ فمن خصائص الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: أنّهم معصومون فيما يُخبرون به عن الله تعالى. وأما العصمة في غير ما يتعلّق بتبليغ الرسالة، فللناس نزاع في ذلك. والذي عليه جمهور أهل العلم: "عصمة الأنبياء عن الكبائر دون الصغائر، وأنّهم معصومون من الإقرار على الذنوب مطلقاً، وأنّهم إن وقع منهم زلاّت من جنس ذلك، فإنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة، ثم يرتقون إلى منزلة أعلى من المنزلة التي كانوا عليها قبل الذنب"(١).

ولا معصوم عن الكبائر الإ الانبياء ، وهذا قول أكثر العلماء من أهل السنة وجميع أهل الفرق، وعليه قول علماء السلف من الفقهاء والمفسرين والمحدثين ، ولم يُنقل عن السلف ما يُخالف هذا القول(٢).

وقد اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ـ ﷺ ـ ، وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الرَّسُولَ ـ ﷺ ـ مَعْصُومٌ فِيمَا بَلَّغَهُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ مَعْصُومٌ فِيمَا شَرَعَهُ لِلْأُمَّةِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ. ومعصوم فيما يبلغه عن الله وعن الخطأ،" وَلِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ أَئِمَّةِ الدِّينِ:" أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إلَّا رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَإِنَّهُ الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ الْإِيمَانَ بِهِ وَطَاعَتَهُ، واتباعه والتأسي به، وَتَحْلِيلَ مَا حَلَّلَهُ وَتَحْرِيمَ مَا حَرَّمَهُ"(٣).

فإمام المسجد بشر يخطئ ويصيب سواء في الجانب العملي السلوكي أو الجانب العلمي، وهنا يَتوجب على الإمام أن لا يُعطي نفسه هالة كبيرة يُشعر الناس من خلالها أنه بلغ درجات الكمال وأعلى مراتب الالتزام؛ بل يستصغر نفسه ، ويتواضع ويظهر ضعفه وعجزه، وحاجته لعناية الله ولطفه وتوفيقه للثبات على الحق والدين، ويسأل الله وقايته وحمايته من الافتتان والزيغ والضلال. وليحذر من التزين أمام الناس بالدين والنسك مما ليس فيه، وفي هذا إيهام في اعتقاد كماله بما ليس فيه، فيعتقد العوام والدهماء ولايته؛ بل عصمته.

(١) ابن تيمية ، **النبوات**، ، ص ٨٧٤.
(٢) ابن تيمية ، **الفتاوى الكبرى**، ج٣١٩/٤.
(٣) الذهبي ، مختصر منهاج السنة، ، ص٩٠، وانظر:حبنكة، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٣٣٦.

المطلب الثاني: تحقيق المحبة الإيمانية ولوازمها:

أولا ـ الحب في الله:

المحبة بين المؤمنين من كمال الإيمان ولوازمه، تنبثق من عرى الإيمان الراسخ في قلوب العباد الصادقين، وهي أساس الأخوة القائمة بين المسلمين لقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(١٠: الحجرات)، ومجيء التعبير القرآني في الآية بصيغة القصر المفيد للحصر يدل على ماهية الأخوة وطبيعتها وحكمها(١)، فالأخوة واجب إيماني بين المؤمنين ولازم من لوزام الولاء والبراء، إذ الإيمان الحقيقي يُنشئ أخوة متينة القواعد؛ لإنها تقوم على عرى الإيمان والتقوى، وبما أنها منبثقة من التوحيد والإيمان فلها آثارها بين المؤمنين من التناصر والتناصح والتعاون على البر والتقوى .

فالإسلام يُنْشأ العلاقات في المجتمع على أساس هذه المحبة التي تؤسس لمجتمع الخير والفضيلة بين عموم المسلمين، فتتوحد المشاعر بين أفراد المجتمع المسلم على هذا الأساس من التقدير والإجلال والاحترام، وأساس هذه المحبة في الله، ولله تعالى، فالحب في الله من أوثق عُرى الإيمان وأفضل الأعمال(٢).

فالعلاقة بين الإمام والمأموم، لا تنفك عن حالين منبعثين من طبيعة الإمام والإمامة، فالأولى: حاله كفرد من أفراد المسلمين وآحادهم تلزمهم المحبة في الله تعالى، وهي من الإيمان و لوازم الولاء والبراء، الذي هو من مقتضيات الشهادتين،وفي الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَحَتَّى أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ وَحَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا) (٣).

والحالة الثانية: النظر لطبيعة المأموم، فالمأموم واحد من عموم المسلمين، يجب له ما يجب لهم، بل وزيادة لطبيعة التلمذة والتلقي من الإمام ، ذاك الإمام الذي يقوم بوراثة النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما الأئمة الصالحين والعاملين،فهؤلاء لهم مكان كبير في نفوس

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٠٢/٢٦ .
(٢) أبو داود، السنن، كِتَاب السُّنَّةِ، بَاب مُجَانَبَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، برقم (٥٥٨١)، ص ١٠٥٢ .
(٣) البخاري، الصحيح، كِتَاب الأدب، بَاب الحب في الله ، برقم (٤٥٩٩)،ج٤٧٠/١٨ .

المسلمين، محبتهم دين لمكانتهم وعظيم أثرهم على الناس والمجتمعات، ولقوله قوله صلى الله عليه وسلم:" (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويعرف لعالمنا حقه)[١].

ثانياً ـ الدعاء :

جاء الإسلام بمنهج يبني المجتمع على الوئام والتآلف لزيادة التماسك والتعاضد ، والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وشرع جملة من التشريعات والأوامر والتوجيهات التي من شأنها تحقيق هذا المقصد، والدعاء أحد هذه التوجيهات التي ترسخ المحبة وتوثق آواصرها، وتزيد عُرى الأخوة بين المسلمين.

فدعاء المسلم لأخيه المسلم سواء بشهوده أم بظهر الغيب أمر حسن محمود، له آثاره وثماره على الداعي والمدعو، من نواحي متعددة، نفسية وسلوكية واجتماعية. ودعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب من الدعوات المستجابة كما دلت الأدلة، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ) [٢] .

وهذا التوجيه النبوي في الترغيب بدعاء المسلم لأخيه يشمل عموم المسلمين، فكيف بخواصهم كالإمام ونحوه ممن يقوم على حمل أعباء الدعوة إلى الله تعالى فهم أحوج للدعاء بظهر الغيب من غيرهم شعوراً من المسلمين بِعظم المهمة الملقاة على كاهله، ومُآزرتة له ونصرته بالدعاء، كسؤال الله له بالثبات والهداية والتوفيق ؛ لكونه حامل دعوة الإسلام، ولواء الحق، وكلما ثبت قوي تمكن من دعوته وخدم الإسلام ونفع المسلمين، فيدعى له بالثبات وقوة الحجة والبيان، فبالدعاء نرجو له التوفيق للخير والحق.

المطلب الثالث: ترسيخ منزلة العالم الشرعية في نفوس الاتباع ،والتحذير من التعصب له:

أولاً ـ ترسيخ منهج المتابعة على الحق :

إن من خصائص الدين الإسلامي وميزاته أنه رباني المصدر فهو من عند الله تعالى ، يترتب على ذلك أن لا نقص فيه ولا خلل، ولا يطاله العبث من عالم أو ممن هو دونه، فالدين محفوظ بحفظ الله له، ينجح ويُفلح كل من يحمله ويدعو إليه ويتبعه ويوافقه، ويخيب

(١)الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة،ج١٤/٥٥٧، (وحسنه)، وانظر: النووي، رياض الصالحين، باب توقير العلماء والكبار ، ص ١١٥و١١٦، وقال: حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود.

(٢) مسلم، الصحيح، كِتَاب الذكر والدعاء، بَاب الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، برقم (٤٩١٢)،ج١٣/٢٦٩ .

ويخسر كل من يخالفه، أو يتخلف عن حمله ونصرته، فمن سار في قافلة الحق سعد في الدنيا والاخرة، ومن كان خلاف ذلك أصابه الشقاء والبوار والهلاك في الدارين.

ولعل هذا يحفز المسلم أن يركب في سفينة الحق سفينة النجاة، والدوران في فلك الحق وقبوله، ولازم ذلك الدوران مع الدليل وقبوله لا مع الشخص وميوله ، بل على العبد أن يُحقق كمال المتابعة لله تعالى ولرسوله القدوة ـ ﷺ ـ فينبغي على المسلم الدوران مع الدليل الثابت المعصوم لا مع الاشخاص؛ الذين يعتريهم التحول والتغير أو النقص والخلل، أو الضعف واتباع الهوى .

وهذه هي التربية القرآنية وطريقة رسول الله ـ ﷺ ـ والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وسلف الأمة الصالحين من بعدهم، فقد قرر القرآن الكريم والسنة النبوية أن الطاعة المطلقة لله ورسوله، لقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء : ٥٩)،وجاء في خطبة أبي بكر عندما تولى الخلافة تقرير وبيان شافي في تأكيد أنْ لا طاعة ولا متابعة لأحد في معصية الله تعالى، فقال:" يا أيها الناس أني قد وليت عليكم ولست بخيركم أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"(١).

ولا تجوز المتابعة المطلقة التامة لأحد من البشر إلا للمعصوم رسول الله ـ ﷺ ـ ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا اقتداء ولا متابعة لأحد يُخالف الكتاب والسنة، وهذه هي تربية القرآن والسنة ، ويتقرر بذلك أن طريقة السلف الصالح خلاف طريقة أهل البدع والأهواء الذين يقدمون الاشخاص في الإتباع والتأييد على الوحي المعصوم.

فيتوجب على كل حامل للحق وداع إليه، أن يُحقق في نفسه الإخلاص للحق الذي يحمله، والحرص على ظهور الحق وقوته، سواء ظهر على يديه أم على يد غيره، ويكون همه الحق لا نفسه ؛ لإن الحق أحق أن يتبع، وهكذا كان علماء السلف الصالح، الذين أعلى الله ذكرهم ورفع قدرهم؛ وما ذلك الإ لإنهم كانوا يحرصون على الحق وظهوره وقوته، سواء ظهر منه أم من غيره من العلماء، ويقبح منه رد الحق لإنه ظهر مع مخالفه وخصمه،

(١) الصنعاني ،مصنف عبد الرزاق ، ج٣٦٣/١١ ، وصححه ابن كثير ، انظر: البداية والنهاية،ج٣٣٣/٦، وانظر: المتقي الهندي، كنز العمال،ج٦٠١/٥ .

فهذا الشافعي رحمه الله يقول:" ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني ولا قبلها إلا هبته وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه" [١].

ويتوجب عليه الحذر من نزغات الشيطان ووساوسه وحظ النفس الذي يجعل الإنسان ينتصر لنفسه لا للحق، وهذا سلوك سلبي يؤثر سلباً على سير الدعوة إلى الله تعالى من جهة الداعي نفسه، ويؤثر سلباً في نفوس المأمومين، ويرسخ الانتصار للذات والأشخاص بدل الانتصار للحق والفكرة، وهذه طريقة أهل ابدع والأهواء المنحرفين عن منهج الحق، وفيه تكريس رد الحق وهو من قبيح أفعال المنتسبين للعلم .

فالإمام طالب علم كثر علمه أو قل، وفوق كل ذي علم عليم، ويجب على الإمام أن يدرك هذه المعاني، وأن يعلمها للناس، ويرسخها في نفوسهم، وأن يكثر من مقولة الإمام مالك إمام دار الهجرة: كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر[٢] ـ ويشير إلى القبر الشريف، قبر رسول الله ـ ﷺ ـ ، حتى يغرس في نفوس تلاميذه هذا المعنى بأبعاده التربوية، وأن العالم مهما علا قدره وكعبه في العلم فهو بشر يخطئ ويصيب، وتفوته مسائل وتغيب عنه أحكام.

وليكن الإمام جريئًا بحيث يتوقف عما لا يعلم، وليحذر من القول على الله بغير علم، ولا يتحرج من قول لا أعلم ولا أدري ،فهي نصف العلم، فهذا من كمال نفسه وشرفها، وتقواه وخوفه من الله تعالى، حتى لا يقع المصلون في الغلو في شخصه، وتعظيمه والذهاب به الى منزلة فوق قدره.

ثانياً ـ ترسيخ مفهوم البعد عن التعصب :

التعصب للاشخاص أو الآراء أمر مذموم، ولا يتعصب الامقلد عطل عقله عن نور الحق، وطمس قلبه عن الهدى، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ القَاضِي:"مَا يُقَلِّدُ إِلاَّ عَصَبِيٌّ أَوْ غَبِيٌّ"[٣] ، فالتعصب للمذهب أو الاشخاص ظاهرة تدل على الجمود العقلي والفكري، إذ الأصل الانحياز للحق والدليل والحجة الناصعة والبرهان الواضح، لا الانحياز الممقوت للاشخاص

(١) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص١٠٨، وانظر: ابن تيمية ، درء تعارض العقل والنقل ،ج٢٤٩/٧
(٢) الألوسي، روح المعاني، ج ٦/ ١٧٧.
(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ج ٢٨/ ١١٧.، وانظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية،ج١ /١٨.

أو المذاهب بدون حجة أو دليل؛ لأن المنحاز للمذهب أو الأشخاص قد يصل به الأمر إلى التعصب المذموم، الذي يضفي العصمة على المذهب، والقداسة للإمام، ويوجب تقليد الإمام ومتابعته في كل شيء ولو خالف الدليل، وهذا فيه خطر على العقول والقلوب ويُفسد الفكر ، ويؤدي إلى الغاء العقول وتعطيلها، ويؤدي إلى التنازع والخصومات، بل اتهام المخالف وتفسيقه أو تكفيره، فالامام يكرس هذه المفاهيم حماية للعقل المسلم من الجمود والتعطل، وحماية للمأمومين من التعصب أو تقديس إمامهم. وهذا خلاف طريقة المحققين من علماء السلف، الذين يدورون مع الدليل ويتركون مذهبهم، ويرجحون غيره عندما يتبين لهم تبين قوة دليل المخالف .

المطلب الرابع ـ تنمية المشاعر الدينية :

من المقرر عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والآثام، للأدلة من الكتاب والسنة على ذلك[1]، قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا ﴾(٤ : الفتح) فالآية تقرر أن الإيمان يزيد بالطاعات، ومن الشواهد والأدلة في القرآن على أن الطاعات تزيد الإيمان، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢: الأنفال)، فتلاوة القرآن الكريم أحد الطاعات التي تزيد الإيمان؛ لإنها من الأعمال والأعمال ركن الإيمان الحق الراسخ في القلب المثمر للأعمال الصالحة.

وارتباط الإمام بهذه الموضوع يتبلور من خلال قيامه باستثمار خطب الجماعة والدروس والمواعظ التي تلقى في المسجد في تنمية المشاعر الإيمانية بشرح وتفسير آيات الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، وأحاديث الزهد والرقاق الواردة من كُتب الصحاح والمسانيد، ويركز على المواعظ؛ لإن الوعظ من الأساليب الدعوية، التي بينها القران الكريم فقال سبحانه وتعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (١٢٥: النحل). والوعظ كما دلت الآية، لون دعوي، وأسلوب رفيع ذو تأثير بالغ على

(١) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، ج٣٤٢/١.

القلوب، لما فيه من الترغيب أو الزجر والترهيب ، قال الراغب (الوعظ) : "الوعظ: زجر مقترن بتخويف. قال الخليل:هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب"(١).

ودلت الأحاديث على وعظ رسول الله ـ ﷺ ـ للصحابة ، كما دلت على حرص الصحابة . رضي الله عنهم ـ على سماع مواعظ رسول الله ـ ﷺ ـ عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ:(وَعَظَنَا رَسُولُ ـ ﷺ ـ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ) (٢)،فلشدة سماعهم الموعظة، وتأثرهم بها ذرفت عيونهم ، فينبغي سماع مواعظ الإمام، والجلوس لها والحرص عليها، لما لذلك من الأثر على الإمام والمأموم، قلبًا وروحًا.

ويقتصر في الوعظ على أيام قليلة محدودة ولا يُفرط بالإكثار من الوعظ ،مخافة الملل والسآمة ، حتى لا يفقد هذا اللون من فعاليته بكثرته ، ولا تصاب النفوس بالفتور والبرود عند سماعه بكثرة ، كحال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ الذي بين علة عدم الاكثار من المواعظ ، وكان يتحرى منهج النبي ـ ﷺ ـ في الاقلال من الوعظ ، فعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ : (يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا) (٣)، وهو يعظ كما كان رسول الله يعظ، دل الحديث على حرص واعتناء رسول الله ـ ﷺ ـ ، بتعليم الصحابة رضي الله عنهم، وفيه دلالة على حرص الصحابة على سماع المواعظ من رسول الله ـ ﷺ ـ .

(١) الراغب ، مفردات ألفاظ القران، ص٨٧٦.
(٢) الترمذي ،السنن ، كتاب العلم، بَاب مَا جَاءَ فِي الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ، برقم (٢٦٠٠)، ج٥/ ٢٨٧.
(٣)البخاري، الصحيح، كِتَاب العلم، بَاب من جعل لأهل العلم أياما معلومة ، برقم (٦٨)،ج١/١٢٤.

المبحث الثاني ـ الجانب العلمي لعلاقة الإمام بالمأموم:

المطلب الأول ـ تعليم العلم ونشر الهدى:

أولاً ـ تعليم العلم الشرعي للرجال والنساء :

كان من شأن رسول الله ـ ﷺ ـ القيام على تعليم العلم للرجال والنساء ، وهذا فيه الإشارة الواضحة على إحياء المساجد به ، وجعلها مدرسة لنشر هدي الكتاب والسنة، وهو من أخص الواجبات والمهام التي يقوم بها الإمام المؤهل تأهيلاً شرعياً ، فواجب الأئمة الاقتداء برسول الله ـ ﷺ ـ في عقد حلقات القران، ومجالس العلم، والأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، التي تبين قيام الرسول بالتعليم، قال تعالى:(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (الجمعة: ٢)، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ:(غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ) [١]، وهذا فيه دلالة على حرص رسول الله ـ ﷺ ـ تعليم أصحابه رجالا ونساءً، ترسيخاً وتحقيقاً لمنهج القرآن الذي أولى القراءة والعلم الأهمية البالغة، حيث كانت أول آياته المنزلة تأمر بالقراءة، القراءة المهتدية بنور الوحي، المتفكرة في عظمة الخالق وخلقه.

ومما يَدُل على اهتمام رسول الله بتعليم أصحابه النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ ما جاء في صحيح قَوله ـ ﷺ ـ :(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا (إلى قوله) فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) [٢]، وأيضا ما جاء في قصة مالك بن الحويرث ـ رضي الله عنه ـ قال رضي الله عنه ـ :(قَالَ قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ فَلَبِثْنَا عِنْدَهُ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ رَحِيمًا فَقَالَ لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى بِلاَدِكُمْ فَعَلَّمْتُمُوهُمْ مُرُوهُمْ فَلْيُصَلُّوا)[٣]، ففيه أهتمام النبي ـ ﷺ ـ بتعليم الشباب بطريقة التلقي والتعلم من خلال المصحابة، حتى يحصل الاقتداء التام ورسوخ العلم، وفيه اتخاذ الإمام تلاميذ له في المسجد يُعلمهم السنة وآداب الإسلام وأحكامه.

(١) البخاري، الصحيح، كِتَاب العلم، بَاب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم ، برقم (٩٩)،ج١/١٧٨ .
(٢)البخاري، الصحيح، كِتَاب العلم، بَاب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ ، برقم (٧٩)،ج١/٣٠.
(٣) البخاري، الصحيح، كِتَاب العلم، باب رحمة الناس ، برقم (٦٠٠٨)،ج١/١٧٥ .

ثانياً ـ تعليم القرآن الكريم:

كان مسجد رسول الله مدرسة الإسلام الأولى وداراً للعلم والمعرفة، منه تلقى الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم القرآن مشافهة من فم رسول الله ـ ﷺ ـ ، حيث كان رسول الله يتلوا عليهم آيات القرن الكريم تباعا، حسب تنزل القرآن في مقاصده العامه لهداية الخلق، ولبيان الأحكام حسب الأسباب والظروف والحوادث التي تحتاج إلى بيان توجيهات الوحي في تقرير أحكامها ، وقد كان للوحي كتبه، وقد حفظ القرآن عن ظهر قلب عدد كثير من الصحابة منهم الأئمة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يحثهم على قراءة القرآن، انسجاماً مع التكليف الإلهي الذي حدد الوظيفة الدعوية والتربوية لرسول الله ـ ﷺ ـ في قوله تعالى:﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ (١٢٩: البقرة) فقام رسول الله على هذا الأمر الإلهي حق القيام، فكان يحث صحابة ـ رضي الله عنهم ـ على قراءة القرآن الكريم، ويعدهم عظيم الأجر والثواب على قراءتهم، ويبين لهم أن أجر قراءة كل حرف بعشر حسنات، وأن الله تعالى لا يُعذب قلباً وعى القرآن الكريم ، وأن مجالس تَعلم القرآن محمودة ممدوحة عند اله تعالى؛ وذلك كله من أجل ربطهم بمصدر العلم الالهي والأحكام الشرعية .

بل جعل رسول الله ـ ﷺ ـ تعلم القرآن وقراءته خيراً من جمع الأنعام واقتنائها، وهي هي التي لها شأنها في نفوس الناس في زمانهم، فبين لهم أن قراءة القرآن غنيمة للمسلم في آجله وعاجله، وأن تعلم القرآن أعظم في مآلاته الإيمانية والعلمية والنفسية من المال والأنعام، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ فَقَالَ:(أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ).فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ(أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ)[١].

ثالثاً ـ ترغيب المأمومين بتعلم العلم:

يقوم الإمام على التعليم في المسجد، وترغيب المأمومين بطلب العلم ويحثهم على ذلك ؛ ببيان فضل العلم والعلماء ومكانتهم عند الله وعند الناس، وأثر العلم على الإنسان في الدنيا

(١) مسلم، الصحيح، ج١٩٧/٢،كِتَاب العلم، باب فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِى الصَّلاَةِ وَتَعْلُّمِهِ، برقم (١٩٠٩)،.

والآخرة، ويرسخ النظرة العامة للعلم والعلماء في الإسلام، اسهاماً منه في النهوض الحضاري للأمة وبنائها من خلال المسجد ورسالته التربوية.

فالإمام يغرس في نفوسهم حب العلم، وطلب العلم وملازمة حِلق العلم، وأن هذه المجالس يحبها الله تعالى،؛ لإن العلم طريق لمعرفة الله ومعرفة الشرع وأحكامه والحلال والحرام، وبين رسول الله ـ ﷺ ـ فيما رواه البخاري: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَالَ:(أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فاستحيا الله مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ) "[1]. وهذا الحديث فيه بيان أهمية ملازمة حِلق العلم، والحث على حضورها، وأن طالب العلم في جلوسه لطلب ينال شرف رعاية الله له وزيادة ايمانه[2].

المطلب الثاني ـ استثمار الخطب والمواعظ لنشر العلم وآدابه:

وهذا جزء مهم جداً من المسؤولية الملقاه على عاتق الأئمة وهي استثمار خطب الجمعة والدروس العلمية في المسجد من أجل تشكيل الرؤى الإسلامية لدى المصلين في الاستخلاف؛ للقيام بعمارة الأرض وتحقيق التمكين للإسلام، وتشكيل المسؤولية لديهم، وبناء التوجهات الحضارية التي جاء بها الإسلام، فعلى الامام أن يحول المسجد من صورة تقليدية تسلل لها الضعف في العصور المتأخرة عصور الضعف، ليعود بالمسجد إلى عصور القوة حيث كان له دوره الفاعل في بناء الأمة وتحصينها في كل الجوانب والمجالات الإنسانية، وتعزيز الهوية بنشر العقيدة الصحيحة وبناء النفوس على الإيمان بالله تعالى، والانطلاق من مصادر الإسلام وخصائص الإسلام العامة، وتاريخ الأمة وتراثها الفقهي والحضاري. سواء خطبة الجمعة أم الدروس والمواعظ ، التي تلقى في المسجد، على التفصيل التالي:

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم بابُ مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ج٢٤/١ برقم ٦٦. .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري،١٥٧/١.

(٣) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ، ص ١٠١ و١٠٢ .

أولاً : استثمار خطبة الجمعة للتعليم :

إن لخطبة الجمعة شأنها العظيم ، و أثرها الكبير على الجانب الإيماني والتربوي والتعليمي، سماها الله في كتابه العزيز صلاة على أحد قولي المفسرين، وإذا قصد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة [١] ، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٩: الجمعة)فقولَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾:أمرَ اقْتَضَى وُجُوبَ السَّعْيِ إِلَى الذِّكْرِ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالذِّكْرِ هَهُنَا هُوَ الْخُطْبَةُ ؛ لِأَنَّ الْخُطْبَةَ هِيَ الَّتِي تَلِي النِّدَاءَ، وَقَدْ أَمَرَ بِالسَّعْيِ إِلَيْهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْخُطْبَةُ [٢].

وفي السنة النبوية ما يؤكد استثمار النبي ـ ﷺ ـ للخطبة للتعليم، عن أبي رفاعة قال: انتهيت إلى النبي ـ ﷺ ـ وهو يخطب قال فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه قال: فأقبل على رسول الله ـ ﷺ ـ وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديدا قال:(فقعد عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها) [٣].

ومن السنة ما يؤكد أهمية الاستماع للخطبة ويُحذر من الانشغال عن سماعها بكلام أو عبث بالحصى ونحوه ، لقوله ـ ﷺ ـ (ثم انصت حتى يفرغ من خطبته)[٤] لما في الخطبة من العلم والوعظ والأثر التربوي على المأمومين ، ولا يجوز الإنشغال عن سماع الخطبة أو العبث بشيء من الشواغل المفسدة لفائدة السماع والتعلم ، وعدّ رسول الله ـ ﷺ ـ أي انشغال عن سماع الخطبة لغوًا، سواء بالكلام أو الفعل، قال ـ ﷺ ـ:(مَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا) [٥]، وقال: "(مَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ صَهٍ فَقَدْ لَغَا وَمَنْ لَغَا فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ)" [٦]، ومن تكلم أو عبث بشيء فسدت جمعته على قول أو نقص أجره عى قول آخر عند الفقهاء ليس هذا مَحل بسطه.

(١) القرطبي،الجامع لأحكام القران، ج١٠٧/١٨ .
(٢) الجصاص، أحكام القران، ج٥٩٦/٣، وانظر: ابن العربي،المالكي،أحكام القرآن ، ج٤ / ١٨٠٥.
(٣) مسلم، الصحيح، باب حديث التعليم في الخطبة ، برقم(٨٧٦)، ج٥٩٦/٢ .
(٤) مسلم ، الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل من استمع وانصت في الخطبة، برقم(١٤١٨).
(٥) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ، باب مَسْحِ الْحَصَى فِي الصَّلَاةِ، برقم(١٠٢٥)، ص١١٧ .
(٦) أبو داود، السنن، ، كتاب الصلاة، باب فَضْلِ الْجُمُعَةِ،برقم(١٠٥١)، ص ٢٤٥ .

ثانياً: استثمار المواعظ للتعليم :

فالوعظ من الأساليب الدعوية، التي بينها القران الكريم فقال سبحانه وتعالى:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (١٢٥: النحل). والوعظ أسلوب علمي دعوي رفيع رقيق ، يوظف في العلم والتعليم ، وترقيق القلوب ، وحفزها للخوف من الله وتعظيم الآمر وفعل الأوامر ، ومنها الاقبال على العلم عامة وتعلم القرآن والسنة خاصة ، مما يقرب العبد من ربه والتزام شرعه .

فالوعظ يوظف إيجابياً في عملية التربية والتعليم ، وغرس آداب العلم وأخلاق الإسلام ، وصياغة الشخصية المسلمة ، مرهفة الحس ، رقيقة القلوب والمشاعر ، مليئة بالرحمة والشفقة ، وتهيئتها بعد ذلك بهذه الخصال للممارسة دور المعلم والمربي ، بعد كل عمليات الإعداد هذه .

ثالثاً : تعليم أداب مجالس العلم :

الآداب في طلب العلم ثمرة تربوية، يَحرص الإمام على غرس هذه الآداب في نفوس المأمومين، وتعليمهم آداب مجالس العلم، ومنها الإنصات للعالم كونه أدب نبوي رفيع، أدب ـ ﷺ ـ دل عليه فيما صح عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» [(١)]، قال ابن حجر:"أَيِ السُّكُوتِ وَالِاسْتِمَاعِ لما يَقُولُونَهُ يَكُنْ مُنْصِتًا انْتَهَى وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى الْغَالِبِ وَاللَّهُ أعلم "[(٢)] .

رابعاً ـ تعليم آداب السؤال:

ينبغي على الإمام ترسيخ آداب السؤال، حفظاً للمسجد من التشويش والاختلاف، وتجنيباً للمأمومين والإمام من الاحراج والإيذاء، وحذر السلف من اعنات الامام واختباره بالأسئلة الغريبة، والبعد عن الإعنات والأغلوطات[(٣)]، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ . رحمه الله . أَحَدُ رُوَاتِهِ هِيَ صِعَابُ الْمَسَائِلِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا لَا نَفْعَ فِيهِ أَوْ مَا خَرَجَ عَلَى سَبِيلِ تَعَنُّتِ الْمَسْئُولِ أَوْ تَعْجِيزِهِ[(٤)]. والمنهج التربوي النبوي دل على النهي عن كثرة السؤال ، لمآلاته

(١) صحيح البخاري، كتاب الاذان، باب فَضْلِ الْجُمُعَةِ،برقم(١٢١)،ج٣٥/١ .
(٢) فتح الباري، كتاب الآذان، باب قَوْلُهُ بَابُ الْإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ ،ج٢١٧/١ .
(٤) (الْأَغْلُوطَات)، قال الرازي:(ما يُغلط به من المسائل)، مختار الصحاح، ص٢٢٠،وقال ابن حجر: هِيَ صِعَاب الْمَسَائِل ـ فَإِنَّ ذَلِكَ مَحْمُول عَلَى مَا لَا نَفْع فِيهِ ، أَوْ مَا خَرَجَ عَلَى سَبِيل تَعَنُّت الْمَسْئُول أَوْ تَعْجِيزه، فتح الباري، ج١٤٦/١،كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا.

السلبية في الاعنات أو الخوف من فتح باب التنطع والتشدد، أما السؤال عما يُشكل فهمة، أو ما يستفيد منه المتعلم علماً عملياً فلا حرج من ذلك، فرسول الله ـ ﷺ ـ (كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال) [١] .

فهدف السائل من السؤال التعلم، أو إزالة لبس، أوحل إشكال، أو زيادة علم، ومن الناس من يسأل مختبرًا أو معنتًا ومُعَجِّزًا لإظهار ضعف الشيخ وهذا سوء أدب، أو يسأل للإضرار بغيره من المصلين ممن وقع في مخالفة حكم شرعي.

وعلى الإمام أن يحذر المصلين من مخالفة هذا الأدب النبوي في عملية التلقي والتعلم، لبقاء بركة العلم، والحفاظ على هيبة العالم والمعلم، بل يقوم بردع من يُثير المشاكل في المسجد، ممن يُحسن القيل والقال وكثرة السؤال، إما لجهله أو سوء خلقه أوغير ذلك، حفظاً على الهدوء في المساجد وجعلها بيئة آمنة للمصلين وخالية من التهويش والتشويش.

وإذا كان لابد من السؤال فله جملة من الضوابط والآداب ، فالسؤال يقصد به التعلم وله جملة من الآداب منها :" أن لا يكرر السؤال عما يعلم، ولا استفهام ما يفهمه، فإنه يضيع الزمان، وربما أضجر الشيخ"[٢]، "ولا يسأل عن شيء في غير موضعه إلا لحاجة، وإذا سكت الإمام عن الجواب لم يلح عليه، وأن لا يستحي من سؤال ما أشكل عليه، بتلطف وحسن الخطاب وأدب السؤال .

المطلب الثالث ـ تعليم أحكام الصلاة ومتابعة الإمام في الصلاة وعدم الاختلاف عليه:

أولاً ـ تعليم أحكام حسن الاقتداء والمتابعة :

فالإمامة لا تتم إلا بالمتابعة،ولا يسمى المأموم مأموماً إلا لكونه تابع الإمام ولحقه،واقتدى به في صلاته، وعرفها الزحيلي بأنها: " ارتباط صلاة المؤتم بالإمام"[٣]، أو أنها: ارتباط صلاة المصلي جماعة بصلاة إمامه فيتبعه ويوافقه[٤]، فالمأموم آمّ متوجه وقاصد الإمام في متابعته والاقتداء به، والإتمام مصدر الإمَّة و " الأمّ: القصد المستقيم ،وهو التوجه نحو مقصود"[٥].

---

(١)البخاري،الصحيح،كتاب الاعتصام بالقران والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال، ج٢٥٦/٢٢، برقم(٦٧٤٨).
(٢) ابن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ، ص ١٠٠ .
(٣) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، ج١٧٣/٢ .
(٤) النووي ، المجموع شرح المهذب، ج٤ / ٢٠٢، بتصرف.
(٥) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ، ص / ٨٧ .

وقد أرشدت السنة إلى وجوب متابعة المأموم لإمامه،جاء في الحديث الشريف عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ . رضي الله عنها . أَنَّهَا قَالَتْ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاكٍ، فَصَلَّى جَالِسًا وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنِ اجْلِسُوا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ، فَارْكَعُوا وَإِذَا رَفَعَ، فَارْفَعُوا)[1]، وهذا الحديث فيه بيان وجوب متابعة المأموم للإمام في أحوال الصلاة، والاقتداء به ومتابعته، والحذر من مسابقة الإمام ومخالفته [2] .

ثانياً-تعليم صحة الصلاة خلف كل إمام راتب سواء كان صاحب بدعة أوينتقص من الصلاة

دلت السنة النبوية على جواز الصلاة خلف كل من صحت صلاته لنفسه، روى الإمام البخاري في صحيحه (باب إِمَامَةِ الْمَفْتُونِ وَالْمُبْتَدِعِ) وَقَالَ الْحَسَنُ صَلِّ وَعَلَيْهِ بِدْعَتُهُ[3]،وهذ أدب عالٍ يتحلى به المصلون في المسجد، يتأدبون به مع بيوت الله، ومع أئمة المساجد، فمن الأدب مع الإمام الراتب اعتقاد المأموم صحة صلاته خلف إمامه، ولو كان داعية فتنة وبدعة، فالمسجد لا يتحمل التشويش والتهويش، وعلى المأموم أن يعلم صحة صلاته وسلامتها، وأنه ينال أجر صلاة الجماعة في المسجد خلف أي إمام، ووزر الخلل والنقص على الإمام .

وأرشدت السنة النبوية إلى قبول إمامة أي إمام، وجواز الصلاة خلفه، ورسخت مفهوم صحة صلاة المأموم، ولو أداها الإمام مع الخلل، فالإمام يتحمل عن المأموم النقص والخلل،وهذه التوجيهات تحمل في ثناياها دلالات تربوية،ومنها صيانة المساجد من الاختلاف والتشويش، واعطاء المصلين الطمأنينة على صحة صلاتهم وسلامتها،قالَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: (مَنْ أَمَّ النَّاسَ فَأَصَابَ الْوَقْتَ فَلَهُ وَلَهُمْ وَمَنْ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهِم) [4].

(1) صحيح البخاري، كتاب الاذان، باب(قَوْلُهُ بَابُ إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ)برقم(٦٨٨)،ج١٣٩/١ .
(2) الفتح، كتاب الآذان، باب(قَوْلُهُ بَابُ إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ)،ج١٨٣/٢ .
(٣) البخاري، الصحيح ، كتاب الآذان ، با باب إمامة المفتون ب ، ج١٤١/١، برقم(٦٥٤) فتح الباري، ج١٤٦/١،كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا.
(٤) ابو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب في جماع الإمامة وفضلها، برقم(٤٩٢).

المبحث الثالث: الجانب السلوكي والاجتماعي لعلاقة الإمام بالمأموم:

المطلب الأول ـ الجانب السلوكي لعلاقة الإمام بالمأموم:

غرس مفاهيم الإسلام وقيمه الأخلاقية والاجتماعية، ركيزة هامة في تربية الإمام لجمهور مسجده، يَحرص على جعل قيم الإسلام حاكمة، لا يُجامل على أوامر الله وشرعه أحداً أيّاً كان ، وسيرة رسول الله ـ ﷺ ـ شاهدة على هذا المنحى، إذ بعثه الله ليقيم الحق والعدل ويهدي لأحسن الأخلاق، وبعثه الله جل جلاله ليتمم مكارم الأخلاق قال ـ ﷺ ـ :(إنما بعثت لأتمم صالحي الأخلاق) [1] ، وهذه العلاقة تنطلق مما يلي :

أولاً ـ القدوة في السلوك والأخلاق :

جعل الله تعالى رسله وأنبيائه قدوة للبشرية، فهم النموذج الحي على تطبيق أوامر الله تعالى، وهم محل القدوة والأسوة والاتباع، قال تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (٩٠: الأنعام)، جعل الله رسله أئمة للخلق، وجعل الله نبينا النبي الخاتم ـ ﷺ ـ إمامهم جميعاً.

كان رسول الله ـ ﷺ ـ مصحفاً يدب على الأرض، أخلاقه أخلاق القرآن، وتربى على عين الله تعالى، فكان المثال البشري الذي والقدوة الكاملة في العبادة والسلوك والأخلاق، وهنا يترتب على من أوقفه الله وأكرمه وحباه، بأن يستشعر أنه يقوم حيث قام رسول الله ـ ﷺ ـ فمرتبة الإمامة مرتبة عظيمة حري بمن وفقه الله تعالى للقيام أن يضع نصب عينيه أنه وارث جهد النبي في هذا المقام، وليحرص على حسن التزامه، وأن لا يُرى منه تقصير ـ ليستعن بالله على ذلك ـ فهو محل نظر الخلق، ومن يرى من نفسه غير ذلك فلا يكن عبئاً وعاراً على المسجد، وليدع هذا العمل المقدس، وهذه المهمة العظيمة للعظماء الذين يرتقون لمستواها .

وهذا السلوك من الداعية الملتزم لما يدعو إليه ضمان للاستجابة والمتابعة ، ويعزز الثقة والقبول ، فمن وافق فعله قوله كان محل تقدير ومحبة من الناس ، ومن ثم اتباعه والاقتداء به وطاعته في الخير ، بخلاف من اتصف بضد ذلك ؛ فإنه يَصُد الناس بسوء

(١) البخاري ، الأدب المفرد، ج١٠٤/١، وبلفظ (بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ) عند الحاكم، المستدرك، ج٦١٣/٢ ، وصححه وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شَرْطِ مُسْلِمٍ ولم يُخَرِّجَاه

سلوكه وقبح صنيعه ؛ لإنهم يبغضوه ويكرهوه ولا يتابعوه ، فأنى له بثقتهم وتقديرهم ، فقد أفسد فعله قوله .

ثانياً ـ التعامل باحترام وتقدير والتواضع لهم :

على الإمام أن يُترجم هدي النبي ـ ﷺ ـ في التعامل مع أصحابه الذين هم تلاميذ المدرسة النبوية في المسجد النبوي، إذ تقوم هذه العلاقة على الأخوة الإيمانية وثمرتها المحبة في الله ، لا يترفع ولا يتميز بلباس عنهم، لقوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨: الحجر)، وتقدير كل نفس مؤمنة واكرامها، ويسأل عنهم، ويبتسم لمزاحهم، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، ويسأل عمن غاب منهم ، ويزور من مرض منهم [١]،ويُصلي على من مات منهم ويُشيعه. وأيضا ينطلق الإمام من تعامله مع المأمومين من قوله ـ ﷺ ـ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا)[٢] .

لقد رسخ القران والسنة مفهوم إنزال الناس منازلهم، احتراماً يليق بهم، بلا غلو، ولا إفراط أو تفريط ، مع الحفاظ على حرمات المسجد، وابقائه بعيداً عن النزعات الجاهلية، والقيم الأرضية .

ثالثاً: الحرص على حفظ أسرارهم وستر عيبهم، والدفاع عنهم في غيبتهم:

حفظ السر مسلك تربوي إسلامي، تعلمه المسلمون في مدرسة النبوة ، فكانت صدور الأحرار قبور الأسرار ، والشاهد التالي يُبين عَظم هذه التربية النبوية في ذلك الجيل كَباراً وصغاراً ، ومثاله ما فعله أنس بن مالك في كتمان سر رسول الله ـ ﷺ ـ عن أمه ، وحينما عرفت أمه أنه سر وصَّته بحفظه، عَنْ أَنَسٍ أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سِرًّا فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ) [٣].

وهذا أدب مع المسلمين عمومًا، والإمام أحوج الناس لهذا الخُلق؛ لأن الناس يثقون بصاحب الدين لا سيما الأئمة العلماء ، إذ يسألهم الناس في قضاياهم العامة والخاصة، ويطمأنون له ويسرون له بأسرارهم، فيتوجب عليه حفظها، وليحذر من كشفها، اذا لا يصح من العوام فضح أسرار غيرهم فمن الإمام أقبح، وأسوأ لمآلاتها السلبية على نفوسهم؛ لكونه

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١/ ٤٩٤ و ٤٩٨(بتصرف).
(٢) النووي، رياض الصالحين، باب توقير العلماء، ورواه أبو داود والترمذي، وقال:حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وفي رواية أبي داود (حق كبيرنا)، ص ١١٥و١١٦، وقال: حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود.
(٣) البخاري، الصحيح، باب حفظ السر، ج٨/ ٨٠ ،برقم (٦٢٨٩).

فضحهم أما الآخرين، ففي هذا المسلك صَد للخلق عن الأئمة ومما يُنفر عن قبوله والاستماع ، وفيه فقدان الثقة بالإمام وضياع الملجأ للناس في مشاكلهم ، وهذا يجعلهم ينفرون من الإمام ويفرون إلى التيه والضياع أحياناً .

رابعاً: تعظيم حرمتهم، والدفاع عنهم في غيبتهم:

العلاقة الارتباطية الإيمانية بين المسلمين توجب على المسلم تجاه أخيه المسلم تعظيم حرمته ، والدفاع عنه في غيبته، والإنكار على من يقع في عرضه، فمن أبسط حقوق المسلم على المسلم تعظيم حرمته، ومن باب أولى الدفاع عن أهل المسجد أهل الجمعة والجماعة، وعدم الرضا بقول من يطعن فيهم؛ بل يحرم السكوت عمن استطال في عرضهم ، فمن عجز عن رد الغيبة فارق ذلك المجلس.

وقد ذكر العلامة ابن عثيمين رحمه ضرورة الكف عن عرض الصالحين فقال : "الواجب على الإنسان إذا سمع من يغتاب أحدًا أن يكف غيبته وأن يسعى في إسكاته، إما بالقوة إذا كان قادراً كأن يقول: اسكت، اتق الله، خاف الله وإما بالنصيحة المؤثرة، فإن لم يفعل فإنه يقوم ويترك المكان ؛ لأن الإنسان إذا جلس في مجلس يغتاب فيه الجالسون أهل الخير والصلاح، فإنه يجب عليه أولاً أن يدافع، فإن لم يستطع فعليه أن يغادر وإلا كان شريكًا لهم في الإثم"(١).

خامسا ـ غرس التوازن بين الدنيا والاخرة (المادي والروحي):

هذه مسألة متعلقة ببناء سلوكات واتجاهات متزنة في شخصية المأمومين، والإمام مسؤول عن احداث التأثير الإيجابي في شخصياتهم ، وفق عملية تعليمية تربوية توازن بين مطالب الدنيا والآخرة ، منسجمة مع طبيعة التكليف الإلهي الذي راعى طبيعة الإنسان الفطرية والغريزية ، فلا هو منعها ولا تركها ، إنما لبَّى له حاجاته الفطرية والغريزية ضمن ضوابط وقيود، حتى يتمكن الإنسان من البقاء حياً للقيام على وظيفة الاستخلاف وعمارة الأرض .

إذ الإنسان مخلوق فيه نزعات مادية وروحية، فلا بد من مراعاة متطلبات الروح والجسد ، بل لا يمكن للإنسان البقاء على الأرض وإقامة الدين دون الحفاظ على جسده وقوته ، إذ حفظ الأديان لا يتم الإ بحفظ الأبدان ؛ لإن البدن السليم هو الذي يقوم بفعل الطاعات .

(١) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين، ، ج٦/ ١٣٣.

والتربية في القرآن والسنة تقوم على رعاية الإنسان وتحقيق متطلبات حياته الدنيوية والأخروية، وحاجاته البدنية والروحية، قال تعالى:﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾(٧٧ :القصص)، ودلت السنة النبوية على مراعاة أمر الدنيا وأمر الأخرة ، فالدنيا مَقَرّنا نعمرها ومن خلالها نعبر للآخرة ، وهي مطية المسلم ليتزود منها لآخرته، فَأَمَرَ الرسول ـ ﷺ ـ بالزواج والنكاح، وحث على العلم والعمل، وحذر من الإسراف في ارهاق الجسد بالطاعة، فنهى عن صيام الدهر ، وقيام الليل كله ، وأمر بالاقتصاد في الطاعة ، ونوّه بالطاعة القليلة التي يداوم عليها صاحبها .

والأدلة في السنة النبوية وهدي النبي ـ ﷺ ـ كثيرة أذكر منها وصية رسول الله ـ ﷺ ـ لعبد الله بن عمرو إذ قَالَ له:(فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ) [(١)]، فرسول الله ـ ﷺ ـ لا يُرشد الأمة إلا للخير والمصلحة التي تعود عليهم بالفائدة والعاقبة الحميدة في الدنيا والأخرة، بعيداً عن المشقة والعنت وتعذيب الجسد، بتوازن يحفظ أمر الروح والجسد ، ويضمن الاستمرار والديمومة ، بحيث لا يؤدي إلى تلف الجسم وهلاكه .

سادساً ـ غرس الاعتدال في العبادة :

من معالم التربية في القرآن والسنة الراسخة ، غرس قيم الاعتدال في العبادة ، فهديه ـ ﷺ ـ أكمل الهدي في التقرب إلى الله تعالى ، واليسر في الدين سمة من سمات التشريع الإسلامي ، بعيداً عن التعمق والغلو والتشدد ، ومغالبة الدين الذي لا يغلبه أحد ، فهو دين متين يحتاج إلى الرفق في تطبيقه وأخذه ، بسهولة ورفق بعيداً عن العنت ، بلا تعمق وأفراط مؤذي مفضي إلى الملل والأنقطاع ، أو المبالغة في السنن المفضية إلى ترك الفرائض والواجبات.

والدليل على هذا المسلك ، هدي رسول الله ـ ﷺ ـ من قوله وفعله، ففي الحديث أنه جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ يَسْأَلُونَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي

(١) البخاري ، الصحيح، ، ج٣ / ٥١ ، باب حق الجسم في الصوم ، برقم (١٩٧٥).

اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ، وَلاَ أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَ : (أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) .

الاقتصاد في العبادة هو الأنسب للنفس ، ففيه المحافظة والمداومة على العبادة ؛ لإن التعمق والتشدد مفضي إلى تحميل النفس فوق طاقتها فيحصل العجز والانقطاع ، لهذا ندرك سر اعتدال رسول الله ـ ﷺ ـ في العبادة وذمه للتعمق والتنطع والتشدد ، إنما تؤخذ النفس بالرفق والقصد ، والتزود بشيء من الروحة والغدوة لضمان الديمومة في الأعمال .

ودلت السنة النبوية على توخي هذا المسلك ، ففي وصية النبي ـ ﷺ ـ السالفة لعبد الله بن عمرو إذ قَالَ له:(صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ (إلى قوله) وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ) [(١)]، فالحديث يُقرر معلم من معالم التربية الإسلامية يقوم على القصد في العبادة والاعتدال ، بحيث يواظب العبد على الأعمال ويدوام عليها ولو كانت قليلة ، وهذا أحب إلى الله تعالى وأفضل من الانقطاع عن أدائها أو فعلها في أيام دون أيام ، فالله يُحب من العمل ما داوم عليه صاحبه وإن قَل ، كما في حديث الثلاثة نفر السابق ، فرسول الله ـ ﷺ ـ هديه أكمل هدي في تحقيق العبودية لله تعالى وفق تحقيق القصد والاعتدال في العبادة .

إذ صيام الدهر يؤدي للاضرار بالجسد وبلوغ المشقة الكبيرة المُضعفة للجسد، مما يُفّوت القيام ببعض العبادات الأخرى، لذا ندرك رحمة الله بالأمة أن صيام الفريضة أياماً معدودات وكذا صيام النافلة ، وإذا كان المسلم همته عالية فلا يزيد على صيام داود، يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وحث رسول الله ـ ﷺ ـ العباد على صيام ثلاثة أيام من كل شهر وهي تعدل صوم الدهر ؛ لإن هذا أبقى للجسد واحفظ له ، لإن الاقتصاد في العبادة وترك التعمق فيها لأن ذلك انشط والقلب به أشد انشراحا ، لذلك بوب البخاري على ذلك وأشار إليه[(٢)]، ففي الحديث دلالة على الاقتصاد في العبادة[(٣)].

(١) البخاري ، الصحيح، ، ج٣ / ٥١ ، باب حق الجسم في الصوم ، برقم (١٩٧٥).
(٢) البخاري، الصحيح، باب حق الجسم في الصوم ،ج٣ / ٥١، وابن حجر، فتح الباري،ج٤/٢٢٠، ج١٨/٣.
(٣) النووي، رياض الصالحين ، باب الاقتصاد في في العبادة ، ص ٥١، البيهقي ،معرفة السنن والآثار ، ج٥١/٤، وانظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ / ١٨.

سابعاً ـ غرس قيم الوسطية والاعتدال :

الوسطية سمة من سمات الدين الإسلامي، ومن خصائصه الظاهرة فيه عقيدةً وعبادةً ، وفي منهجه وتشريعاته ، وأحكامه وقيمه الأخلاقية ، وسائر نظمه المتعلقة بالفرد والمجتمع، والوسطية تعني الاعتدال والقصد في تحقيق شريعة الله تعالى فهماً وسلوكاً [١]، وعلى الإمام ترسيخ هذه المفاهيم وتربية رواد المسجد عليها ؛ لإن المسجد ليس لإقامة فريضة الصلاة وحسب؛ إنما علم وعبادة، ودعوة وتوجيه، وتربية وإرشاد ، وغرس قيم وسلوكات ومفاهيم ، ودعوة إلى التوازن والوسطية بعيداً عن العقائد والأفكار المنحرفة والهدّامة [٢] .

المسجد مركز تربوي يرسخ مفاهيم الإسلام بالحكمة والبصيرة ، والإمام الفاعل هو الذي يُحقق رسالة المسجد بكفاءة واقتدار ، لا سيما خصائص الإسلام العامه ومقاصده التي جاء بها ، والعمل على ابرازها وجعلها من معالم توجيهاته ودعوته ، لا سيما الوسطية التي عدّها القرآن من معالم وسمات هذه الأمة لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (١٤٣: البقرة)، وجملة كلام المفسرين في تفسير الوسطية تدور حول الخيار والعدل والفضل .

فالأمة دينها وعقيدة ومنهجها وشريعتها هي العدل والخيار والفضل ، فلا ينبغي لها الخروج عنه إلى التقصير والغلو والتشدد ، فالقصد والاعتدال منهجها وطريق حياتها ، تظهر الوسطية في كل مجالات الحياة وفق المنهج التربوي الإسلامي القائم على الكتاب والسنة وعقيد السلف الصالح ، وطريقة الصحابة والقرون المفضلة ، لا تشوبه انحرافات الفرق الضالة ، والنحل المبتدعة الهالكة .

المطلب الثاني ـ العلاقات الاجتماعية :

أولاً ـ أهداف التواصل الإجتماعي بين الإمام والمأموم :

لا تقتصر علاقة الإمام بالمأموم بحدود المسجد، بل تتعداها إلى خارج المسجد، امتداداً لرسالة المسجد في التواصل مع رواد المسجد بروابط اجتماعية، تُعزز اللحمة والأخوة الإيمانية، وتقوية العلاقات الإجتماعية بزيارتهم في مناسباتهم، وتفقدهم والسؤال عنهم، في اطار التواصل الإجتماعي الهادف الذي يجعل منهم مجتمعاً متآلفاً متحاباً متعاوناً.

(١) السديس، عبد الرحمن، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال ، ص ٢٣.
(٢) السديس ، عبد الرحمن، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال ، ص ٢٦٩ .

ثانياً ـ طبيعة هذه العلاقة :

فالإمام ينطلق في ذلك من الاقتداء بسيد الأئمة رسول الله ـ ﷺ ـ الذي كان وثيق الصلة والعلاقة بأصحابه تلاميذ المدرسة النبوية، إذ كان يزورهم ويشاركهم في مناسباتهم،ليعلمهم ويقودهم للخير ويوجههم أخلاقياً وسلوكياً، قال أنس بن مالك:(زارنا رسول الله ـ ﷺ ـ في دارنا) [١]، وكان يزور من مرض منهم، وعاد غلامه اليهودي، وعاد عمه في مرض موته، واتخذها فرصة لدعوتهم للإسلام، فاسلم الغلام ولم يُسلم عمه، وكان يدنو من المريض وينفس له في الأجل، ويسأل عما يُحب ويشتهي، ويدعو له، ويشهد جنازتهم ويصلي على ميتهم [٢].

ثالثاً ـ معالجة المشكلات الإجتماعية :

وهنا أشير لبعض القضايا الإجتماعية التي يُعالجها الإمام في علاقة بالمأموم، لا على سبيل الحصر، ومنها ما يلي:

١ ـ اسداء النصح للمسلمين في قضاياهم، ومنها على سبيل المثال قضايا الزواج ، كما في قصة فاطمة بنت قيس عندما استشارت رسول الله ـ ﷺ ـ فيمن تقدم لخطبتها، فاشار عليها بمن هو أنسب لها [٣]، والتحذير مما يمزق الروابط الاجتماعية مثل بيع الرجل على بيع أخيه أو خُطبنه على خِطبة أخية [٤].

٢ ـ تصويب المفاهيم الإجتماعية في بيان القيم الحقيقة في مكانة الإنسان، ووزنه بميزان قيم السماء، القائمة على الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، إذ يُقرر الإسلام أن الناس سواسيهم، ولا فضل لأحد على أحد الإ بالتقوى، وأن الإنسان ليس بمظهره، وأن الغنى ليس دليلاً على فضل الإنسان ومكانته، وليس الفقر دليلاً على استصغاره ومَهانته ،عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه، قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ : أَنْ يُسْتَمَعَقَالَ ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينِ فَقَالَ

(١) ابن حنبل، المسند، ج٣ / ٢١٣ . وقال : شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١/ ٤٩٤ و ٤٩٨ (بتصرف).
(٣) مسلم، الصحيح ،باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ، ج٤/ ١٩٥، برقم (٣٧٧٠).
(٤) البخاري ،الصحيح ،باب لا يخطب على خِطبة أخيه، ، ج٧/ ٢٤، برقم (٥١٤٢).

مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ : أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا)[١].

٣ ـ معالجة انتشار الفواحش بحكمة: المجتمع الإسلامي مجتمع نظيف، يَحرص على العفة والطهارة، ويُحافظ على العرض والنسل والانساب، ويُحرم كل ما من شأنه افساد هذا النظام القائم على الطهر، ويمنع أي علاقة بين الرجل والمرأة خارج حصن الزوجية التي هي نواة المجتمع المتين، في البناء والتربية والعفة والطهارة ، وتوجيه الشباب للعفة والطهر ، وتحذيرهم من الرذيلة والعهر، وذلك ببيان قدسية الأعراض وحرمة الحريم، كما بين ذلك رسول الله ـ ﷺ ـ للشاب الذي طلب أمراً غريباً من رسول الله ـ ﷺ ـ ، طلب الأذن بالزنا، فقام له أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ورضي الله عنهم غاضبين، لكن النبي المعلم ـ ﷺ ـ يُعالج هذه الانحراف الاجتماعي الفكري، بالرد عليه بمنطق الوحي المنسجم مع العقول والفطر السلمية، بضرب المثل عن رضاه الزنا بأمه ومحارمه فأبى، فاخبره رسول الله ـ ﷺ ـ أن الناس يأنفون منه كذلك لأمهاتهم ومحارمهم ولا يرضونه لهن، فسكن قلبه وعقله، ودعى له رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) [٢] .

٤ ـ الانتباه لاخوانهم من الفقراء : المسجد محل اجتماع المسلمين في اليوم والليلة خمس مرات يلتصقون بهذه الرابطة الإيمانية، ويتآخون بينهم ، وهذا سبيل لمعرفتهم لبعض، ورسول الله ـ ﷺ ـ فَطَّنَ لهذ المقصد ونبّه إلى ملاحظة أحوال أخوانهم الفقراء، ذكر ابن خزيمة في صحيحه في باب أمر الإمام الناس في خطبة يوم الجمعة بالصدقة إذا رأى حاجة و فقرا كما في قصة سُليك عندما دخل المسجد بهيئة بذة، ورسول الله ـ ﷺ ـ يخطب يوم الجمعة، فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ :(أن يتصدقوا فما لقوا ثيابا فأمر له بثوبين و أمره فصلى ركعتين) [٣]، ففي المسجد يتم تفقد أحوال المأمومين ورعايتهم.

(١) البخاري ،الصحيح ،باب الأكفاء في الدين، ج٧/ ١٠، برقم (٥٠٩١).
(٢) ابن أبي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج١ / ٣٤١، برقم (٥٤٣).
(٣) ابن خزيمة ، الصحيح،ج٣ / ١٥٠، برقم (١٧٩٩)، وحسنه الشيخ الالباني.

الخاتمة (النتائج والتوصيات):

أولاً ــ النتائج وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

١ ـ حددت السنة النبوية الإطار العام للعلاقة بين الإمام والمأموم.

٢ ـ الكشف عن جوانب العلاقة التربوية ومناحيها المتعددة العلمية والعقدية والسلوكية والاجتماعية.

٣ ـ تحديد إطار معرفي شرعي تربوي للإمام يتعامل به مع المأموم.

٤ ــ وضوح معالم فعالية الإمام المؤثر المتفاعل .

٥ ــ رسالة المسجد منوط تحقيقها بوجود الإمام الكفؤ .

٦ ــ كفاءة الإمام العلمية والسلوكية تنشط العملية الدعوية في المسجد .

٧ . تضمنت علاقة الإمام بالمأموم مضامين تربوية عقدية وعلمية وسلوكية واجتماعية .

٨ . عمارة المسجد الحقيقة متوقفة على الإمام الكفؤ ، فالمسجد بإمامه لا ببنائه ، مع أهمية البناء لتحقيق العمارة المعنوية.

ثانياً ــ التوصيات:

١ ـ دعوة الجهات المسؤولة عن المساجد في العالم الإسلامي، للتعريف بالعلاقة الايجابية المتفاعلة بين الإمام والمأموم، من أجل الإسهام بزيادة الدور التربوي للمسجد ، وتحقيق رسالته، التي محورها الأساس متوجه لبناء الإنسان المسلم المتميز بتدينه، ووسطيته،واعتداله.

٢ .ضرورة اهتمام المؤسسات الرسمية المسؤولة عن الدعوة التعريف بهذه العلاقة ، ومضمونها التربوي التعليمي المناط بإمام المسجد .

٣ ـ ضرورة الوعي المعرفي من الإمام والمصلين بهذه الجوانب .

٤ ـ الحرص على بقاء المساجد بيئات تربوية وتعليمية آمنة، وسالمة من الاختلاف والتشويش.

٥ . ايلاء المساجد العناية من المؤسسات الرسمية المسؤولة عن الدعوة باعداد الأئمة الاكفاء المؤهلين للقيام بتحقيق هذه المضامين التربوية التعليمية.

٦ . إبراز دور الإمام المُعلم ، والعناية من المأموم أن يقدر للإمام قدره ويعرف فضله، فالإمام وارث النبي ــ ﷺ ــ في العلم والإمامة.

٧. اهتمام وسائل الإعلام بنشر المضامين التربوية لهذه العلاقة حتى يؤدي المسجد دوره الفاعل المؤثر من خلال الامام الكفء، والتعريف بأساس هذه العلاقة القائم على التعلم وطلب العلم ، فطلب العلم يحتاج لجملة من الآداب مع المعلم والمربي.

٧ ــ أن يدرك الأئمة المكانة العظيمة التي بوأهم الله إياه، مما يُلزمهم القيام على حقوقها وتبعاتها حق القيام .

٨ ــ أن يحرص الأئمة على ملازمة العلم والتزود منه ، وتطوير قدراتهم ومهاراتهم ، لبلوغ أقصى درجات الفاعلية والتأثير الإيجابي في جمهور المسجد .

المصادر والمراجع:

ـــ **ابن تيمية** ، تقي الدين أحمد بن عبد السلام الحراني شيخ الإسلام ، **مجموع الفتاوى الكبرى**، دار الوفاء، المنصورة / مصر، ط ١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

ـــ **ابن تيمية، النبوات**،تحقيق عبد العزيز الطويان،أضواء السلف،الرياض،السعودية،ط١ ،١٤٢٠/٢٠٠٠م.

ـــ **ابن تيمية** ، **درء تعارض العقل والنقل** ، تحقيق :عبد اللطيف عبد الرحمن ،دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

ـــ **ابن جماعة**، إبراهيم، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم** ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

ـــ **ابن الجوزي** ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى : ٥٩٧هـ)،**تلبيس إبليس** ،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ط١ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

ـــ **ابن حجر**، أحمد، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، دار المعرفة - بيروت ، (د.ط)، ١٣٧٩.

ـــ **ابن خزيمة** ، محمد، **صحيح ابن خزيمة** ، تحقيق : د. محمد الأعظمي ، المكتب الإسلامي/ بيروت ، ١٣٩٠ /١٩٧٠.

ـــ **ابن عثيمين** ،محمد الصالح ،**شرح رياض الصالحين**، مؤسسة الأميرة العنود ، الرياض / السعودية ، (د. ط) ، ١٤٣١ه .

ـــ **ابن عاشور** ، محمد الطاهر التونسي (ت:١٣٩٣هـ) **التحرير والتنوير** ،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

ـــ **ابن العربي**،المالكي،**أحكام القرآن**، دار المعرفة، بيروت،(د.ط)(د. س).

ـــ **ابن القيم** ، محمد بن أبي بكر ، **زاد المعاد في هدي خير العباد** ،مؤسسة الرسالة / بيروت،ط: ٢٧ ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

ـــ **ابن القيم** ،(ت:٧٥١هـ) ، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**،تحقيق : عمر بن محمود ، دار ابن القيم - الدمام، ط٢ ، ١٤١٤/ ١٩٩٤.

ـــ **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**،حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه : علي شيري، بيروت/ لبنان، دار إحياء التراث العربي،ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. ج٦/٣٣٣.

ـــ **أبو داود** ، سليمان بن الأشعث ، **السنن**، دار الأرقم، بيروت،ط١، ١٩٩٩م.

ـــ **الأثري**، عبد الله بن عبد الحميد، **الوجيز في عقيدة السلف الصالح**، مراجعة وتقديم صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ .

ـــ **البغوي** ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٠هـ) **معالم التنزيل** ،حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر (وآخرون)، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

ـــ **البيهقي**، أحمد ، **معرفة السنن والآثار** ،تحقيق:عبد المعطي قلعجي ،دار قتيبة ، دمشق ، ط١، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

ـــ **الأصفهاني**،الراغب،**مفردات ألفاظ القرآن الكريم** ، دار العلم ، دمشق ، ط ١٤١٢،١هـ ـ ١٩٩٢م .
ـــ **الألباني** ، محمد ناصر الدين ، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**،دار المعارف ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١ ،١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
ـــ **الألباني** ، محمد ناصر الدين ، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**،دار المعارف ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١ ،١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
ـــ **الألباني** ، محمد ناصر الدين (المتوفى : ١٤٢هـ)، صحيح أبي داود،مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت،ط ١ ، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م
ـــ **الآلوسي**، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق : على عبد البارى عطية،دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١ ،١٤١٥ هـ .
ـــ **البخاري** ، محمد بن اسماعيل الجعفي ، **الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ وسننه وأيامه**، دار الشعب/ القاهرة،ط ١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.
ـــ **البخاري** ، **الأدب المفرد**، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ،دار البشائر الإسلامية – بيروت ،ط٣ ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.
ـــ **الترمذي** ، محمد بن عيسى ، **سنن الترمذي** ، دار احياء التراث العربي/ بيروت،تحقيق أحمد شاكر ، (د. ط)،(د. س)، ١٤٠٨هـ .
ـــ **الجصاص**، أحمد بن علي الحنفي، **أحكام القران**، ضبطه: محمد شاهين،دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
ـــ **الحاكم** ، محمد بن عبدالله النيسابوري ، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية / بيروت، ط١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠ .
ـــ **حبنكة**، عبد الرحمن حسن، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق،ط٦، ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م .
ـــ **الحنفي** ، ابن أبي العز ٧٩٢(هـ)،**شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق : جماعة من العلماء ، تخريج : ناصر الدين الألباني،دار السلام للطباعة والنشر التوزيع ،ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
ـــ **الذهبي**، محمد بن أحمد، **مختصر منهاج السنة**، حققه محب الدين الخطيب،
ـــ **الذهبي**، محمد، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط١٠ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
ـــ **الذهبي** ، محمد ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: د. عمر عبد السلام ، دار الكتاب العربي،لبنان/ بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
ـــ **الرازي** ، محمد بن أبي بكر ، **مختار الصحاح** ، دار الفكر ، عمان / الأردن ، ط١ ، ١٤٢٨ /٢٠٠٧ م.
ـــ **الزُّحَيْلِيّ** ، وَهْبَة ، **الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ** ، دار الفكر ، سوريَّة / دمشق ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
ـــ **السديس** ، عبد الرحمن ، **بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال** ، مدار الوطن ، الرياض/ السعودية ،ط٣ ،١٤٣٨ / ٢٠١٧م .

ـ **الصنعاني**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام ، **مصنف عبد الرزاق**، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي،المكتب الإسلامي/ بيروت، ط٢، ١٤٠٣ .
ـ **الشيباني** ، أحمد بن حنبل ، **المسند** ، ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، مؤسسة قرطبة – القاهرة ، (د.ط) (د.س) .
ـ **القرطبي** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت:٦٧١ هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق :سمير البخاري،دار عالم الكتب، الرياض، السعودية ،ط١ ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
ـ **المتقي الهندي** ، علاء الدين علي بن حسام الدين (المتوفى : ٩٧٥هـ) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**،تحقيق : بكري حياني - صفوة السقا، بيروت / لبنان ،مؤسسة الرسالة، ط٥ ،١٤٠١هـ/١٩٨١م.
ـ **مسلم** ، الجامع الصحيح ، دار الجيل بيروت ـ بيروت (د.ط) (د.س).
ـ **النووي**، محي الدين بن شرف، **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر،بيروت، (د.ط) ،٢٠٠٠م .
ـ **النووي** ، محي الدين زكريا ، **رياض الصالحين** ، تحقيق : الشيخ الالباني،مكتبة الهدي المحمدي ، القاهرة / مصر،ط١ ،١٤٣٤/٢٠١٣ه .
ـ **النووي** ، أبو زكريا يحيى ، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ،دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٢ ، ١٣٩٢ .
ـ **الهيثمي** ، نور الدين علي بن أبي بكر ، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ،دار الفكر، بيروت، (د.ط)، - ١٤١٢ هـ .

The Implications of the Educational Relationship in the Sunnah between the Imam, Leader and the Ma'mum, Led People in prayer

Abstract

The aim of this study is to demonstrate the educational implications of the positive inter-relationship between the Imam and the M'mum, with the view to revive the role of the mosque and its mission in shaping the Muslim character and building a Muslim , being distinguished by his religion and moderation. Such a believing personality is driven by the lights of knowledge to achieve the civilized advancement which rests with the whole nation, as individuals and communities. There is a great relationship between the imam and the ma'mum, the aspects of which is explained by the Sunnah in various sections of the Sunnah books, such as the sections dealing with the imamate, leadership in prayer, the prayer, the Friday prayer and the congregational one.

Since the mosque is an Islamic educational institution, it does not fulfill its effective educational message without the existence of a qualified Imam. Such an imam has a message, an objective and a goal, stemming from missionary, educational and social goals and objectives, through an interactive process, which is based on the validity of his methodology. His methodology, based on the infallible revelation of Qur'an and Sunna, affects his followers in various aspects, including the educational, scientific, behavioral and social ones.

This research theorizes such a relationship from its jurisprudential and educational perspective. Such a relationship is not based on material worldly interests; but it is the relationship of learning and reception, construction and education, and follow-up, so that the worshippers could become followers and pupils of the leader of their mosque. The research reached the following results:

1- The Prophetic Sunnah set the general framework for the relationship between the imam and the ma'mum.

2- To uncover aspects of the educational relationship, including the scientific, dogmatic and behavioral ones.

3 – To determine a legal knowledge framework for the imam to deal with the ma'mum.

This study makes the following recommendations: The need for securing the interest of official missionary institutions to disseminate this relationship, including its educational knowledge, being entrusted to the mosque leader. It is also needed to give the mosques the attention of the official institutions responsible for the preparation of qualified imams. Those imams are bound to realize these educational contents.

Keywords: Educational contents of the Imam's relationship with the Ma'mum - reviving and activating the message of the mosque - preparing the competent imams.